كلمـــــة صغيرة

الاستاذ (ع)

أكتب هذه الكلمة وأنا مريض فى المصيف فى (مضايا)، قد هبط معى الضغط، وضعف منى الجسم، وانقطعت عن عمل اليد وعمل الدماغ، ولذلك ما أخلت بعهدى، وكان العهد أن أكتب إلى (الرسالة) مرتين فى الشهر. ولكن أخبار مصر، ومن قبلها أخبار إيران، تطرد المرض، وتنهض الجسد، وتهز من الحماسة الجبال، وترقص الحجر، فكيف أنام اليوم واليوم عزت بالإسلام العرب والعجم. واليوم استكمل الشرق يقظته إلا بقايا فى عينيه من الكرى وأقسم أن لن ينام، واليوم أحس كل مسلم بأن الأمة التى يكون فيها من زعماء الدين أمثال حسن البنا والقاشانى، ومن زعماء الدنيا أشباه نجيب ومصدق. لم تفقد عزتها، ولم تدفن أمجادها فى قبور تاريخها، ثم تسير بلا عزة ولا مجد، بل إن لها من حاضرها أياما غرا محجلات لا يضر من رآها ألا يكون رأى تلك الأيام. لا، لا يضر من حضر الجلاء عن الشام، وإقامة إندونيسيا والباكستان، وشهد ظفر الشعب فى طهران أمس وفى مصر اليوم ألا يكون قد حضر القادسية وشهد اليرموك

لقد تتالت علينا الأفراح، وتتابعت البشائر حتى ما تستطيع أن تحتملها أعصابنا. إننا نعدو عدوا فى طريق الظفر لا نقدر أن نقف ساعة لنستريح ونلتقط أنفاسنا. هذا شعب إيران يهب هبة الرجل الواحد، يحمل معه أكفانه ليثبت للدنيا أن الكفن فى يد المستميت أمضى من الدفع فى يد من يحب الحياة ويكره الموت، وأن الرغبة الصادقة فى الموت هى أقصر طريق إلى الحياة، وأن الشعب إذا استماث لا تغلبه قوة فى الدنيا. وهل يمكن أن يباد شعب على بكرة أبيه فلا يبقى له أثر؟ هل تستطيع قوى الشر كلها التى حشدها المتمدنون ليقتلوا بها البشر باسم المدنية التى نسبح جهلا بحمدها، ونموت فى عشقها، أن تهلك أربعمئة مليون ضفدع لو هاجت بلداً من أقطاره الأربعة؟ فكيف لو هبت أربعمئة مليون إنسان، يستجيبون لصوت إيمانهم، ويغضبون لماضيهم، ويعملون لمستقبلهم؟ إن القطة إن غضبت لأولادها، كشرت عن أنيابها، وأبدت عن مخالبها، وهجمت على الذئب، فكيف إن غضب شعب كشعب إيران؟ وكيف إن كان يقوده شيخ له عزة العلم، وله قوة اليقين، كالقاشانى، ينفخ فيه من روح الدين ما يثبت للعالم أن قوة الإيمان هى أقوى القوى، وأن العدو لم يصنع بنا شيئا أضر علينا من صرفنا عن ديننا، وتعطيل هذا السلاح الماضى الذى وضعه الله فى أيدينا!

ثم جاءت أخبار مصر. مصر الدينة الصينة التى طالما احتملت الفسوق والعصيان.. وسكتت ترجو أن يتيب الفاسق، ويتوب العاصى.. مصر العزيزة الحرة التى صبرت على الطغيان والاستبداد.. مصر التى بذلت فى حرب فلسطين مالم تبذله دولة عربية، ثم ضربها فى ظهرها من كبار أبنائها من كان شرا عليها وعلى جيشها من أعداء الله والإنسانية: اليهود. مصر التى طالما زرتها وأقمت فيها الشهور الطوال فكنت أشم روائح الفساد كلما خرجت من إدارة الرسالة ومررت بالميدان الكبير. وانتشرت هذه الروائح حتى عمت مصر، ثم وصلت إلى أوربا.. وشمها أصحاب الجرائد هناك بأنوفهم الحساسة فنشروها فى كل مكان حتى بلغت الشام ودخلت كل بيت؛ لذلك كانت أخبار الانقلاب الأولى فرحة فى كل بيت.. يتباشر بها الناس. ويفتحون الراد ليسمعوها، وأزهد الناس بسماع الأخبار صار يعانق الراد فى داره ليسمع إذاعة مصر وغير مصر.. فلما أذيع أن الفاروق (الذى كان يوما الملك الصالح) قد أخرج من مصر لم يعد يستطيع الناس أن يضبطوا من الفرح أعصابهم. ووالله ثم الله الذى لا يحلف به كذباً إلا فاجر، لو أعطيت مائة ليرة ما فرحت بها مثل فرحى بهذا الخبر. ولولا أنى مريض.. وأن ذهنى مكدود.. لحييت هذا اليوم العظيم التحية التى تليق به.. ولسقت له كلاما غير هذا الكلام: كلاما تثب له القلوب، وتحمى منه أقحاف الرؤوس، وترقص له من الحماسة الأعصاب، وتغلى الدماء؛ ولكنى إن عجزت اليوم عن نظم هذا الكلام.. فلقد قال هذا البطل بفعاله أكثر منه؛ وهو صامت متواضع لم يفخر ولم يتحمس. فيا أيها الرجل العظيم حقا؛ لك شكر العروبة. لك شكر الوطن. لك